البرزخ

تعريفه:

البرزخ لغة: ما بين كل شيئين من حاجز، وفي الآية: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٠] أي: حاجز يمنعهما من أن يختلط أحدهما بالآخر.

والبرزخ اصطلاحاً: الحاجز بين الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1] [المؤمنون: ١٠٠].

❋ ❋ ❋

القبر أول منازل الآخرة

معنى القبر:

القَبْر مفرد. وجمعه القبور وهو جمع كَثْرة. وأَقْبُر وهو جمع قِلّة. ويقال لمَدْفَن الموْتَى مَقْبَر ومَقْبَرة[2].

سؤال القبر:

ويراد به: أن الله تعالى يحيي العبد المكلَّف في قبره بردّ الحياة إليه، ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه، ليعقل ما يسأل عنه، وما يجيبه، ويفهم

---

(١) انظر: النهاية لابن الأثير مادة (برزخ)، ولوامع الأنوار البهية للسَّفَّاريني، جدة ١٣٨٠هـ، ج٢ ص٤، والروح لابن القَيّم، مصر ١٩٦٧، ص٧٣ و١٠٨.

(٢) لوامع الأنوار البهية ج٢ ص٤ والتذكرة ص٨٨.

ما آتاه من ربه، وما أعدّ له في قبره من كرامة أو هوان[1].

دليله:

الأدلة على ثبوت سؤال القبر كثيرة منها:

١ ـ حديث البَرَاء بن عازب: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**المسلمُ إذا سئل في القبر، يشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله**» فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] أخرجه البُخاري. ورواه مسلم، وفيه: فيقال له: مَن ربُّك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد ﷺ. فذلك قوله ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[2].

٢ ـ عن أنَس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ العبدَ إذا وُضِع في قبره، وتولَّى عنه أصحابُه، وإنه ليَسمعُ قَرْعَ نِعالهم، أتاه مَلَكان فيُقْعِدانه، فيقولان: ما كنتَ تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ؟**

فأمَّا المؤمنُ فيقول: أشهدُ أنه عبدُ الله ورسوله، فيُقال له: انظر إلى مَقْعدك من النار، قد أبدلك الله به مَقْعَداً من الجنة، فيراهما جميعاً.

وأما المنافق والكافر، فيقال له: ما كنتَ تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنتُ أقول ما يقولُ الناس. فيقال: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ. ويُضربُ بمطارقَ من حديد ضربةً، فيصيح صيحةً يسمعُها مَن يليهِ غيرَ الثَّقَلَيْن»[3].

حكم الإيمان بسؤال القبر:

الإيمان به واجب، وهو مذهب الجمهور[*].

---

(١) التذكرة ص١٢٤.

(٢) حديث البراء في صحيح البخاري ـ تفسير سورة إبراهيم ج٦ ص١٠٠ وصحيح مسلم ـ كتاب الجنة ـ باب عرض مقعد الميت.. ج٤ ص٢٢٠١.

(٣) حديث أنس في: صحيح البخاري ـ كتاب الجنائز ـ باب ما جاء في عذاب القبر ج٢ ص١٢٣. وصحيح مسلم ـ كتاب الجنة ـ باب عرض مقعد الميّت... ج٤ ص٢٢٠٠.
وانظر من أدلة سؤال القبر في: لوامع الأنوار البهية ج٢ ص٥ والروح ص٥٣ ـ ٥٤.

(*) شرح عبدالسلام على الجوهرة ص٢٢٠.

عذاب القبر:

حكم الإيمان به:

عذاب القبر حق، والإيمان به واجب، وهو قول الجمهور[1].

أدلة عذاب القبر:

استدل الجمهور على إثبات عذاب القبر بما يأتي:

١ ـ قوله تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] أي قبل يوم القيامة وذلك في القبر، بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١].

فالمراد بالإماتتين والإحياءين في هذه الآية هو: الإماتة قبل مزار القبور، ثم الإحياء في القبر، ثم الإماتة فيه أيضاً، ثم الإحياء للحشر.

قال المفسرون:

والغرض بذكر الإحياءين أنهم عرفوا فيهما قدرة الله على البعث، ولهذا قالوا: فاعترفنا بذنوبنا، أي الذنوب التي حصلت بسبب إنكار الحشر، وإنما لم يذكر الإحياء في الدنيا، لأنهم لم يكونوا معترفين بذنوبهم في هذا الإحياء.

وذهب بعضهم إلى أن المراد بالإماتتين ما ذكر، وبالإحياءين الإحياء في الدنيا، والإحياء في القبر، لأن مقصودهم ذكر الأمور الماضية، وأما الحياة الثالثة أعني حياة الحشر فهم فيها، فلا حاجة إلى ذكرها.

وعلى هذين التفسيرين ثبت الإحياء في القبر[2].

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

قال أبو سعيد الخدري وعبدالله بن مسعود: ضنكاً أي: عذاب القبر.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الطور: ٤٧].

---

(١) التذكرة ص١٢٤.

أثبت الجُبّائي من المعتزلة وابنه والبَلْخي عذاب القبر، لكنهم نفوه عن المؤمنين، وأثبتوه لأصحاب التخليد من الكفار والفسّاق./ الروح لابن القَيّم ص٥٨ ولوامع الأنوار البهية للسَّفّارِيني ج٢ ص٢٣ نقلاً عن الروح.

(٢) المواقف وشرحه للجُرْجاني ص٥٩١، وانظر: شرح المقاصد ج٢ ص٢٢٠.

قيل: هو عذاب القبر، لأن الله ذكره عقب قوله: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الطور: ٤٥] وهذا اليوم هو اليوم الآخر من الدنيا، فدلّ على أن العذاب الذي هم فيه هو عذاب القبر.

٥ ـ قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [التكاثر: ١ ـ ٣] يعني في القبور.

٦ ـ في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**إنهم ـ أي أهل القبور ـ يعذّبون عذاباً تسمعه البهائم كلها**»(*).

٧ ـ حديث البَراء بن عازب وأنس بن مالك المتقدمان في أدلة سؤال القبر(١).

تصوّر عذاب القبر ونعيمه:

قال الجمهور: إننا نؤمن بما ورد في الإخبار، ولله أن يفعل ما يشاء من عقاب ونعيم، ويصرف أبصارنا، ويغيّبه عنا.

فلو كان الميت بيننا موضوعاً، فلا يمتنع أن يأتيه الملكان، ويسألانه، ويجيبهما من غير أن يشعر الحاضرون بهما، ومثال ذلك:

نائمان بيننا أحدهما ينعم، والآخر يعذب، ولا يشعر بذلك أحد من حولهما(٢).

وليس للعقل وقوف على كيفية عَوْد الروح إلى الجسد، وكيفية عذاب القبر ونعيمه، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والرسل لا يأتون بما تُحيله العقول، ولكنه قد يأتون بما تَحار به العقول(٣)، وأخبارهم قسمان:

أ ـ ما يشهد العقل والفطرة السليمة به.

ب ـ لا تدركها العقول كالغيوب.

فكل خبر يظن أن العقل يحيله، فلا يخلو من أحد أمرين:

أ ـ الخطأ في النقل.

(*) حديث عائشة في صحيح البخاري ـ كتاب الدعوات باب التعوذ من عذاب القبر ج٨ ص٩٨. واللفظ له، وصحيح مسلم ـ المساجد ـ باب استحباب التعوذ من عذاب القبر ج١ ص٤١١.

(١) التذكرة ١١٣ ـ ١١٤ و١٣٣، والروح ٥٣ ـ ٥٤، ولوامع الأنوار البهية ج٢ ص٥ و١٣ ـ ١٤.

(٢) التذكرة ص١٢٦. وإحياء علوم الدين للغزالي ط١٩٣٩ مصر ج١ ص١١٩ وج٤ ص٤٨٥.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ط٣، المكتب الإسلامي بدمشق، ٣٨٨ ـ ٣٨٩.

ب ـ فساد في العقل، فتكون شبهة خيالية[1].

والعلماء يتفقون على أن الله تعالى يعيد إلى الميت في القبر نوع حياة، قدر ما يتألم ويتلذذ، ويشهد بذلك الكتاب والأخبار والآثار[2].

دخول الملك القبور:

يجوز تأويل دخول الملك القبور باطلاعه على أهلها، وهم مدركون له عن بُعد من غير دخول ولا قرب.

ويجوز أن يكون الملَك للطافة أجزائه، يلج القبور، فيتوصل إليهم من غير نبش. ويجوز أن ينبشها، ثم يعيدها الله إلى مثل حالها على وجه لا يدركها أهل الدنيا. ويجوز أن يدخل الملَكُ من تحت قبورهم من مداخل لا يهتدي الإنسان إليها[3].

قال ابن القيم:

ومن أعظم الجهل استبعاد شق الملك الأرض والحجر، وقد جعلهما الله سبحانه له كالهواء للطير[4].

عذاب القبر ونعيمه:

قال النبي ﷺ: «**إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**»[5] وهو بيان لما في القبر من نعيم وعذاب.

ويجب أن يعلم أن ذلك ليس من جنس نار الدنيا ونعيمها، والله تعالى قادر على أن يحمي التراب والحجارة التي فوقه وتحته، حتى يكون أعظم حرًا من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها، بل أعجب من ذلك أن الرجلين يدفن أحدهما إلى جنب صاحبه، أحدهما في روضة من رياض الجنة، والآخر في حفرة من النار، لا يصل من أحدهما إلى جاره حر ناره أو نعيمه.

---

(١) الروح ٦٢، لوامع الأنوار البهية ج٢ ص٢١ نقلاً عن الروح.

(٢) شرح المقاصد ج٢ ص٢٢٢.

(٣) التذكرة للقُرطُبي ص١٢٦.

(٤) الروح لابن القيم ص٧٢.

(٥) سنن الترمذي ـ كتاب صفة القيامة ـ باب القبر يقول للمؤمن مرحباً وأهلاً ج٧ ص١٦٧ عن أبي سعيد الخُدْري وقال: حسن غريب.

ولو اطَّلعَ الله تعالى على ما هو محجوب عن إدراك العقول، لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب[1].

وعذاب القبر، وهو عذاب البَرْزَخ، ونعيمُه ينال مستحقه، سواء قبر أم لم يقبر، أكلته السباع أو احترق، حتى صار رماداً ونسف في الهواء...[2].

وما ورد عن النبي ﷺ من إجلاس الميت واختلاف أضلاعه ونحو ذلك فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلوّ ولا تقصير...، لأن الدور ثلاث، لكل دار أحكام تخصها، وهي:

أ ـ دار الدنيا وأحكامها على الأبدان، والأرواح تبعاً لها.

ب ـ دار البرزخ وأحكامها على الأرواح، والأبدان تبعاً لها.

جـ ـ دار القرار وأحكامها على الأرواح والأبدان جميعاً[3].

أما كيفية وصول العذاب إلى مَن تفرقت أجزاؤه في التراب أو الهواء... فإن العذاب يسري في دار البرزخ على الروح والبدن تبع لها، وليس ببعيد على الله تعالى أن يجعل للروح تعلقاً بأجزاء البدن وإن تباعدت، واليوم نرى اللاسلكي والبث الإذاعي يصل إلى مختلف أنحاء العالم في لحظة واحدة، وكذلك الحال في الكهرباء إذ تصل إلى أماكن متباعدة في لحظة فتح الصمام المخصص للإيصال، وتصرف الروح أغرب وأعجب من هذا بكثير.

❋ ❋ ❋

البعث (المعاد الجسماني) والنشور

تعريفه:

البعث: هو أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور، بأن يجمع أجزاءهم الأصلية، ويعيد الأرواح إليها.

والنُّشور: يرادف البعث في المعنى، يقال: نشر الميت: إذا عاش بعد الموت، وأنشره الله: أحياه.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٣٨٩ ـ ٣٩١، الروح ٦٤ ـ ٦٦.

(٢) الروح ٥٨.

(٣) نفسه ٦٢ ـ ٦٣.